

محمد حمشي | Mohammed Hemchi*

العلاقات الدولية وجائحة كورونا: قصة قصيرة وأربع مقالات

International Relations and the Pandemic: A Short Story and Four Articles

نُشر فيضٌ من الأدبيات التي تتناول جائحة كورونا من منظورات متباينة للغاية، من السياسة والسياسات، إلى الاقتصاد والتجارة، إلى الأسرة والمجتمع، مروراً بالسفر والتنقل، فالبيئة والعمران، ووصولاً إلى العمل والتعليم، واللائحة تطول. في سياق كهذا، يناقش هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية جملة من الإشكاليات التي يثيرها تفشي الجائحة من منظور حقل العلاقات الدولية، وهو ينطلق من ادعاء أساسي مفاده أن الجائحة مسألة سياسية في المقام الأول، وأن في القلب من كل ما يتعلق بها تقريباً، تكمن الدولة والعلاقات بين الدول. يتضمن هذا العدد الخاص أربع دراسات؛ أولها عن نظريات العلاقات الدولية والجائحة، وثانيها عن النظام الدولي والجائحة، وثالثها عن الاقتصاد السياسي الدولي والجائحة، أما رابعها فهي عن الشعبوية والجائحة، إضافة إلى ترجمة لدراسة نظرية عن الصحة العامة والصحة العالمية، ومراجعة نقدية لكتاب عن مستقبل الصراع والتنافس والتعاون الدولي بعد الجائحة.

كلمات مفتاحية: العلاقات الدولية، جائحة كورونا، نظريات العلاقات الدولية، النظام الدولي، الاقتصاد السياسي الدولي، الشعبوية، التعاون الدولي، الصحة العامة العالمية.

A considerable amount of literature dealing with the Covid-19 pandemic has been published from very different perspectives, from politics and policies, economy and trade, family and society, travel and transportation, environment and urbanization, work and education, and so forth. In such a context, this special issue of *Siyasat Arabiya* claims that pandemic is a political issue at its core, and that state and interstate/international relations lie at the heart of almost everything related to it. This special issue includes four articles; these look at the relationship of the pandemic to theories of International Relations, the international system, the Political Economy and Populism respectively; in addition to a theoretical article on public and global health translated into Arabic, and a critical review of an edited book on the future of conflict, competition and international cooperation after the pandemic.

Keywords: International Relations, Covid-19, Pandemic, International Relations Theories, International System, International Political Economy, Populism, International Cooperation, Global Public Health.

* باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وأستاذ مساعد، برنامج العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا.
Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies and Assistant Professor, Political Science and International Relations, Doha Institute.

أولاً: القصة القصيرة

ماذا لو اندلع حريقٌ داخل مبنى مخرجٍ واحدٍ لا غير؛ حيث لا خيار أمام قاطنيه إلا التدافع نحو المخرج الوحيد لينجو كلٌ بحياته؟ إنها قصة كلاسيكية يستحضرها مدرسو العلاقات الدولية ليشرحوا للطلاب دور البنية (وَلتُكُنْ بنية النظام الدولي) في تقييد سلوك الفاعلين (وَلتُكُنْ الدول)⁽¹⁾؛ فالمبنى مخرج واحد، وهو مكتظٌ بأشخاص أنانيين، ولا أحد يشرف على عملية إخلائهم من المبنى، تجدهم يتدافعون بكل ما أوتوا من قوةٍ وحيلةٍ للنجاة من الموت، ولن تسمع حينها سوى هجيج النار وضجيج الناس، نفسي نفسي! ولكي نكون أشد دقة، تقدم هذه القصة تصورًا يجعل البنية لا تقيّد سلوك الفاعلين فحسب، بل تحدده أيضًا، وتجعله خطيًا قابلاً للتنبؤ، بل ثابتًا لا يعتد بأي تباينٍ في السياقات.

في مقابل ذلك، هنالك من يحتج على حبكة هذه القصة الفجّة، ويعدّها اختزالًا لفاعلية Agency الأشخاص قاطني المبنى بوصفهم فاعلين Agents، واختزالًا أيضًا لطبيعة البنية التي يتفاعلون فيها بوصفها ليست ماديةً فحسب، بل هي اجتماعيةٌ أيضًا. فمن لا ينظر في المعايير التي تشكل وتعيد باستمرار تشكيل سلوك هؤلاء الأشخاص، ويكتفي بالنظر في تصميم المبنى، وفي غياب سلطةٍ "تحتكر العنف" لتشرف على تنظيم عملية الإخلاء، لن يكون أمامه غير الافتراض مسبقًا أن الجميع سيتدافعون نحو المخرج سعيًا لنجاة كلٌ بحياته. إنه لن يتصور سوى أولئك الذين سيصابون من جراء التدافع أكثر من الذين سيتعرضون للحريق نفسه. وتنطلق حجة هؤلاء المحتجين على حبكة القصة من سؤال فحواه: ماذا عن معايير هؤلاء الأشخاص وقيمهم التي نُشئوا عليها اجتماعيًا؟ ماذا عن أفكارهم التي يتشاركونها - بما هم عليه بوصفهم جماعةً - أفكارهم عن أنفسهم وأفكارهم بعضهم عن بعض؟ وماذا عن تاريخهم المشترك؟ ماذا لو خبروا في الماضي تجربةً مماثلةً لإخلاء مبنى يتعرض لحريق، وصار بإمكانهم أن يتعلموا من تلك التجربة؟

بدلًا من افتراض وجود مخرجٍ واحد، وغياب سلطةٍ من شكلٍ ما تنظّم عملية الإخلاء - وهو ما سيجعل الجميع يسارعون نحو المخرج للنجاة، بأذنين كل ما في وسعهم ليتخطى بعضهم رقاب بعض نحو الخارج - علينا أن نتساءل عما إذا كانت لدى هؤلاء معاييرٍ معينةٍ تحدد لهم، أو لجلهم، أو حتى لبعضهم، من سيخرج أولًا؟ العصبية أولو الشدة مثلًا، أم السُّقام خائرو القوة؟ ألن يُلتفت إلى الغيد من النساء والقُصّر من الأطفال والعُجّز من المُسنين؟ أم أن الاندفاع

الجنوني العارم وحده سيسود عند المخرج؟ أم أن ما سيحدث هو شيءٌ من هذا وشيءٌ من ذاك؟

إن مشكلة الحبكة الأولى تكمن في أنها تنكر أي حاجةٍ إلى فهم ثقافة الفاعلين بوصفهم فاعلين، وفهم معايير سلوكهم وقواعدهم وهم يتفاعلون ضمن الجماعة؛ فتلك المعايير والقواعد ليست موضوعيةً Objective البتة، ولا هي ذاتية Subjective خالصة، لكنها بينذاتية Intersubjective تنشأ وتتطور باستمرار في سياق التفاعل المطرد بين فاعلين لا تشكل البنية سلوكهم فحسب، بل إنّ سلوكهم يشكّل البنية ويعيد تشكيلها باستمرار؛ لذلك واستنادًا إلى تقليدٍ من النقاشات التي خاضها أنصار البنائية الاجتماعية لنقد أقرانهم من أنصار الفلسفة الوضعية بمختلف تياراتهم النظرية النافذة في حقل العلاقات الدولية، صار في متناول المرء ما يكفي من الحجج لدحض فكرة أن البنية ماديةٌ بالمطلق، وأنها معطى مسبقٌ يمكنها أن تحدد يقينًا الكيفية التي سيكون عليها سلوك أي فاعلٍ يوجد في البنية نفسها.

يبدو جليًا أن الحكيتين السابقتين إنما نُسجتا بناءً على صورة مبنى حجريّ عتيقٍ، لربما صار اليوم أثرًا بعد عينٍ بفعل نوازل التلف والاندثار. لتأمل الآن مشهدًا آخر. ماذا لو كان المبنى حديثًا؟ ماذا لو كان مصمموه قد زدوه بمخارجٍ طوارئٍ عديدةٍ؟ ماذا لو كان مصمموه وبنائهم قد استبقوا، واتفقوا، فأنفقوا مالا إضافيًا لتزويده بنظام متطورٍ لإخماد الحرائق بمجرد اندلاعها، أو حتى بنظامٍ بسيطٍ للإنذار يوفر وقتًا كافيًا للإخلاء من دون التدافع عند المخرج؟ في هذا المشهد، إما أن يندلع الحريق بفعل فاعلٍ مترصدٍ، وها هنا لن تكون بين أيدينا سوى قصةٍ قصيرةٍ جدًا نرويها، فالحرائق المتعمدة - بتفجيرٍ من الخارج مثلًا أو بزرع قنبلةٍ في الداخل - دائمًا ما تكون مأساوية، وغالبًا لا تتيح للموجودين داخل المبنى وقتًا للتدافع أو للتضامن فيما بينهم، وإما أن يشب الحريق مثلما يشب أي حريقٍ غير مفتعل؛ شرارةً فدانًا فلهبًا فاضطرام. وها هنا أيضًا لدينا حبكتان؛ إحداهما قصيرةٌ تقول إنّ مصممي المبنى وبنائهم، بوصفهم فاعلين، قرّروا أن الأرواح أهم من الأرباح، ووعوا أنّ "معظم النار من مستصغر الشرر"، فتكلّفوا وضع نظامٍ فعّالٍ للإنذار وإخماد الحرائق فور اندلاعها. أما الحبكة الأخرى، فهي أطولٌ قليلًا، إما أن تعيد رواية قصة المبنى العتيق الذي صُمم بشكلٍ بدائيٍّ بلا نظامٍ لإخماد الحرائق أو حتى الإنذار باندلاعها، وإما أن نخبرنا أن المبنى حديثٌ ومزودٌ بنظامٍ إخمادٍ متخلفٍ، وأنه لم يتمكن من الصمود أمام بأس الحريق وسرعة اضطرامه، أو أن النظام كان عاطلًا (أو مُعطّلًا) لحظة نشوب الحريق؛ ومن ثمّ، تعيدنا هذه الحبكة - عودًا على بدءٍ - إلى جدل التدافع والتضامن.

1 ورد ما يشبه هذا المثال في:

Ted Hopf, "The Promise of Constructivism in International Relations Theory," *International Security*, vol. 23, no. 1 (Summer 1998), p. 173.

ثانياً: المقالات الأربع

تفشّت على هذه الأرض، حيث نقطن، أوبئة فتاكّة قد يكون المعلوم منها نزرًا قليلاً مما لم يروه بعدُ التاريخُ المعروفُ لدينا اليوم. في بداية القرن الرابع قبل الميلاد، شهدت اليونان القديمة طاعون أثينا، وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، شهدت الإمبراطورية الرومانية طاعون أنطوني. وبعدها بثلاثة قرون، ضرب طاعون جستنيان الإمبراطورية البيزنطية، وهو الطاعون نفسه الذي اجتاحت أوروبا مرة أخرى خلال القرن الرابع عشر. وفي القرن السادس عشر، كان ثمة جدرى العالم الجديد، ثم الطاعون الإيطالي، وطاعون لندن العظيم. ومع نهاية القرن التاسع عشر، ظهر وباء الكوليرا في الهند، ومنها انتشر نحو أوروبا وأفريقيا وأميركا الشمالية وبقية آسيا، كما تفشت أيضًا الحمى الصفراء والإنفلونزا الروسية. أما القرن العشرون، فقد شهد في بدايته ويلات الإنفلونزا الإسبانية التي فتكت بأرواح الملايين من البشر، ثم الإنفلونزا الآسيوية، وإنفلونزا هونغ كونغ، والإيدز الذي لا يزال في تفشٍّ⁽²⁾. ثم لاحقًا، شهدت بداية القرن الحادي والعشرين، في عقودها الثلاثة الأولى، ويلات سارز، وإنفلونزا الخنازير، وميرس، وإيبولا، وأخيرًا - والمتوقع أنه ليس آخرًا - جائحة كورونا⁽³⁾.

يشي هذا التعداد، المقتضب جدًّا، من الوهولة الأولى، بأن الأوبئة زاد عددها خلال القرن العشرين، وتزايد أكثر مع بداية القرن الحادي

لنتصور الآن، في مشهدٍ آخر، أنّ قاطني المبنى أجمعوا أمرهم، وكوّنوا من بينهم وحدةً من رجال الإطفاء، غرضها إخماد الحرائق. ها هنا حبات عديدة. تقول حبةٌ أولى: ماذا لو كانت وحدة الإطفاء تحظى بكفاءةٍ عاليةٍ وبإمكاناتٍ تدخلٍ فعالةٍ؛ لأنّ قاطني المبنى رأوا أن احتمال اندلاع الحرائق يظل أمرًا واردًا على الدوام، وأنّ كفاءة تلك الوحدة تأتي من انسجام تصورات جماعة القاطنين بشأن ضرورة وجودها ودعمها وتعزيز عملها؛ في مقابل ذلك، تقول حبةٌ ثانية: ماذا لو أنّ أحد - أو بعض - الأشداء النافذين و/أو الأثرياء المقتدرين منهم صار ينظر إلى وحدة الإطفاء تلك بعين الازدراء والانتقاص من دورها والحاجة إليها؛ ماذا لو قرر أحدهم - أو بعضهم - أن يرفع عنها دعمًا ماديًا أو معنويًا، هي في حاجةٍ ملحةٍ إليه كي تستمر في عملها؛ وتقول حبةٌ ثالثة: ماذا لو قرر أحد هؤلاء منع وحدة الإطفاء تلك من الاطلاع على تصميم جزئه الخاص من المبنى، بدعوى أنه في منعةٍ من الحرائق، أو أن لديه القدرة على إخمادها بنفسه، وأنه في غنى عن أي وحدة إطفاء؟

والآن، لتتخيل في مشهدٍ آخرٍ أخيرٍ أن المبنى يُؤوي جماعةً عدد أفرادها مئتان ونيّف، بينهم القويّ والضعيف، والغني والفقير، لكنّ كلّ واحد منهم لديه دورٌ يؤديه لا يمكن الاستغناء عنه ولا استبداله؛ إذ تتوقف عليه الحياة برمتها داخل المبنى. ماذا لو أنّ الأقوياء والأثرياء منهم وعوا تمامًا أنّ الحرائق تندلع على الدوام، وعلى حين غرة، وأنّ على المبنى برمته أن يكون متهيئًا لها لأن عودة الحياة في المبنى إلى طبيعتها، بعد إخماد الحريق، إنما تتوقف على نجاة القاطنين جميعهم، دون استثناء أحد؟

تلك قصةٌ قصيرةٌ عن مبنى يتشاركه قاطنون شتّى؛ إنه مبنىٌ يظل على الدوام عرضةً لاندلاع حريقٍ في أيّ زاويةٍ من زواياه، حتى في وجود نظامٍ ناشئٍ للإنذار بنشوب الحرائق وإخمادها، وحتى في وجود وحدةٍ إطفاءٍ ناشئةٍ متنازعٍ عليها. ورغم أنّ "معظم النار من مستصغر الشرر"، فإن الشرر، إذا لم يُحتو في بداياته، صار دخانًا، فلهبًا، فحريقًا يهدد المبنى برمته؛ فإذا ما بلغ الأمر مبلغه، ورغم خبرة القاطنين المشتركة في التعامل مع حرائقٍ سابقةٍ، يظل السؤال هو: ماذا لو اندلع حريقٌ داخل المبنى؟

ذلّكم المبنى محاكاةً للنظام الدولي. وقاطنوه المتفاوتون، بين قوي وضعيف وغني وفقير، هم الدول. والحرائق التي تندلع فيه على الدوام هي الأوبئة والجوائح. ووحدة الإطفاء المتنازع عليها هي منظمة الصحة العالمية. أما نظام الإنذار بنشوب الحرائق وإخمادها، فهو شبكات الإنذار المبكر والاستجابة للأوبئة، التي تنشئها منظمة الصحة العالمية وشركاؤها لرصد الأمراض الوبائية والاستجابة لها سريعًا قبل تفشيها وتحولها إلى أوبئة وجوائح.

2 هذا التعداد غير حصري البتة. للاستزادة، يُنظر في هذا العدد: أحمد قاسم حسين، "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجل تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/مايو 2021)، ص 46. للاطلاع على مادة مفصلة حول تاريخ الأوبئة في القرن العشرين، يمكن العودة إلى كتاب المؤرخ الطبي مارك هونسبيوم، تاريخ الأوبئة: تاريخ العدوى العالمية من الإنفلونزا الإسبانية إلى كوفيد 19، في:

Mark Honigsbaum, *The Pandemic Century: A History of Global Contagion from the Spanish Flu to Covid-19* (UK: Virgin Books Limited, 2020);

وللاطلاع على عرض مقتضب للأوبئة الفتاكّة المعروفة لدينا عبر التاريخ، يمكن العودة إلى المادة التفاعلية التي نشرتها ذي واشنطن بوست، في:

Michael S. Rosenwald, "History's Deadliest Pandemics, From Ancient Rome to Modern America," *The Washington Post*, 22/2/2021, accessed on 1/6/2021, at: <https://wapo.st/3wOIoLq>

وبشأن الأوبئة في التاريخ العربي، يمكن العودة إلى: أحمد العدوي، الطاعون في العصر الأموي: صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)؛ محمد أبطوي، "دراسة الوباء وسبل التحرز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020/6/22، شوهد في <https://bit.ly/2RYifuE>، في: 2021/6/1

3 نستعمل في هذا العدد مصطلح "جائحة كورونا" عندما يتعلق الأمر بالظاهرة في حد ذاتها؛ أي ظاهرة تفشي الجائحة وآثارها المركبة والمتشعبة وسياسات مواجهتها وما إلى ذلك، في حين نستخدم مصطلح فيروس كورونا (مرادفًا لفيروس كوفيد 19)، لما يتعلق الأمر بالسياسات التقنية؛ مثل: سياق الحديث عن العلاج، أو اللقاح (فاللقاح مضاد للفيروس لا للجائحة)، أو لما يتعلق الأمر بالأشهر الثلاثة الأولى لظهوره؛ أي قبل إعلانه جائحةً عالميةً من جهة منظمة الصحة العالمية.

لمكافحة الأمراض والأوبئة خلال العقود الأخيرة، سواء على مستوى توفير الأدوية واللقاحات وتوزيعهما وتحسين نظم الرعاية الصحية الوطنية، أو على مستوى ما صار يُعرف بحوكمة الصحة العامة العالمية. ومع تفشي جائحة كورونا، تكشفنا أكثر فأكثر تلك المفارقة.

وإلى غاية تاريخ صدور هذا العدد، نُشر فيضٌ من الأدبيات التي تتناول جائحة كورونا من منظوراتٍ متباينةٍ جداً⁽⁹⁾، ولا سبيل هنا لخصر هذه المنظورات التي تتعدد بتعدد جوانب الحياة البشرية التي أثر فيها تفشي الجائحة، من السياسة Politics والسياسات Policies، إلى الاقتصاد والتجارة، إلى الأسرة والمجتمع، مروراً بالسفر والتنقل، فالبيئة والعمران، ووصولاً إلى العمل والتعليم، واللائحة تطول.

وفي هذا السياق، يناقش هذا العدد الخاص من دورية سياسات عربية جملة من الإشكاليات التي يثيرها تفشي الجائحة من منظور حقل العلاقات الدولية. ننطلق، بناءً على ما سبق، من ادعاء مفاده أن الجائحة مسألة سياسية في المقام الأول، وأن في القلب من كل ما يتعلق بها تقريباً، تكمن الدولة والعلاقات بين الدول. قد يعترض أحدنا على هذا الادعاء قائلاً إنها مسألة طبية، وقد يحتج آخر بأنها مسألة صحية، وآخر بأنها اجتماعية، وقد يشجب آخر كل ذلك؛ فيحاج بأنها مسألة اقتصادية، أو حتى مسألة أمن قومي. هذه الادعاءات جميعها سليمة، حتى إن بدت اختزالية؛ كل على حدّتها. وقد ينبري أحدنا، في محاولة "لقطع قول كل خطيب"، مدعيًا أنها مسألة معقدة ومتعددة الأبعاد⁽¹⁰⁾. مع ذلك، تجعلنا الجائحة في مواجهة عدد من الأسئلة تجعل بدورها السياسة Politics والسياسات Policies والدولة والعلاقات الدولية تتقدم الأسئلة الأخرى مجتمعةً؛ مثلاً: كيف تفشت الجائحة من دولةٍ إلى أخرى بهذه السرعة وبهذا المدى غير المسبوقين في تاريخ الأوبئة المعروف؟ كيف تصرفت - وتتعرف - الحكومات حيال ذلك؟ ولماذا تتباين استجابات الدول وسياساتها؟ وما أثر تلك السياسات في حياة الناس في كل جانبٍ من جوانبها تقريباً؟ وما دور منظمة الصحة العالمية بوصفها مؤسسة دولية هذا أوان تصدورها المشهد؟ وما حدود التعاون وفرصه بين الدول للحد من تفشيها؟ وحتى مسألة اللقاحات والتلقيح، هل يكفي التفكير فيها بوصفها مسألة علمية وطبية محضة؟ أليست السياسة في قلب كل ما يتعلق بها، بدءاً باكتشافها (من يكتشفها؟ وأين؟ وكيف؟) مروراً

والعشرين⁽⁴⁾. وعلة ذلك، كما هو معروف، هي العولمة؛ فهي لم تجلب معها حسنات الرأسمالية وانفتاح حدود الدول بعضها على بعض فحسب، بل جلبت معها أيضاً سيئاتٍ جمّة، وما فتئت تعرّض العالم للأزمة تلو الأخرى، منذ أن اشتد عودها مع نهاية الحرب الباردة. وتمتد تلك الأزمات إلى مجالات الاقتصاد العالمي والبيئة العالمية، وصارت الآن تطاول الصحة العالمية. قد سبق للعالم أن شهد تفشي أوبئةٍ وجوائحٍ عديدة، لكن لم يشهد العالم من قبل مثل جائحة كورونا وسرعة تفشيها وآثارها الوخيمة التي طالت كل مكان تقريباً، وكل جانبٍ من جوانب الحياة تقريباً. فلا ريب أن العولمة بمختلف مظاهرها ودينامياتها⁽⁵⁾ إنما تسهّل وتسرع، وفي الآن نفسه تكثّف، انتشار المُمْرُضات القاتلة Pathogens، بل إن ديناميات تقويض النظام البيولوجي و/أو البيئي العالمي، تحركها العولمة الرأسمالية أو الرأسمالية العالمية، سمّها ما شئت، إنما تدفع إلى "ظهور أنواعٍ جديدةٍ محتملةٍ من الأمراض الوبائية المخيفة وغير المعروفة سابقاً"⁽⁶⁾.

قبل العولمة، كانت ثمة طواعينٌ وأوبئةٌ، لكنها كانت قليلة التواتر، بطيئة التفشي، (وربما) محدودة الانتشار، وإن كانت أشد فتكاً⁽⁷⁾ فأثارها ظلت محدودة إلى حدٍّ ما. مع العولمة، صارت الأوبئة تتحول إلى جوائح⁽⁸⁾، وزاد تواترها، وغدت أسرع تفشيًا، وأوسع انتشارًا، مع أنها قد تبدو أقل فتكاً مقارنةً بأوبئة القرون الغابرة، لكن المفارقة تكمن في أنها تستمر في التفشي والبطش بأعناق الناس وأرزاقهم رغم التقدم الذي شهدته جهود الدول منفردةً ومتعاونَةً بعضها مع بعض

4 هذا لا ينفي أن "العصر الذهبي" للأوبئة، على حد تعبير عبد الكريم أمكاي، هو القرون الوسطى، إذا ما أخذنا في الحسبان عدد الضحايا التي خلفتها هذه الأوبئة مقارنة بعدد سكان العالم الإجمالي في ذلك الوقت.

5 يشير أحمد قاسم حسين في هذا العدد إلى أن التقدم التكنولوجي المطرد في وسائل نقل الأشخاص عبر القارات، فضلاً عن أطراد سيولة تنقلهم بفعل انفتاح الحدود من ناحية، وأطراد أمهات الهجرة النظامية وغير النظامية من ناحية أخرى - لا يؤدي إلى تسهيل حركة البشر فحسب، بل إلى نمو حركة ناقلات الأمراض سريعة العدوى عبر القارات؛ إذ تتوفر لها فرصة كبيرة للتنقل عبر الرحلات نفسها التي تنقل البشر والمنتجات، ومن ثم الانتشار في أي مكان، وفي كل مكان. فـ "في الوقت الذي يسافر فيه الأفراد وتنتقل المنتجات المختلفة حول العالم بأعداد غير مسبوقه وبسرعات تاريخية، كذلك تفعل الكثير من الكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض". يُنظر: حسين، ص 46-47.

6 Immanuel Wallerstein, *After Liberalism* (New York: The New Press, 1995), pp. 67-68.

وينظر في هذا العدد: محمد حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أبذة معقّقة في قنّان جديدة ونبيذ لم يُعتق" سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 17-38.

7 يتفق هذا مع ملاحظة عبد الكريم أمكاي في الهامش 4.

8 تميز المعاجم الطبية/ الصحية بين الوباء Epidemic من جهة، بوصفه زيادة غير متوقعة في عدد حالات الإصابة بمرض معين، لكن في نطاق جغرافي محدود، قد يكون دولة أو عددًا ضئيلاً من الدول، والجائحة Pandemic من جهة أخرى، بوصفها تفشيًا لوباء معين في نطاق جغرافي أوسع، يضم عددًا كبيراً من البلدان والقارات، ينظر:

"Epidemics, Pandemics, and Outbreaks," Medically Reviewed by Jennifer Robinson, WebMD, 2/4/2020, accessed on 8/6/2021, at: <https://wb.md/2SFMPcQ>

9 سبق أن أصدر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات عدد من خاَصين من دورتيّ تبين للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية وعُمران للعلوم الاجتماعية يناقشان موضوع الجائحة، يُنظر:

تبين، عدد خاص: الفلسفة والجائحة والمرض، مج 9، العدد 35 (شتاء 2021)، شوهد في: <https://bit.ly/3w5PTgS>، في: 2021/6/8، عدد خاص: إيستيمولوجيا الجائحة، مج 9، العدد 36 (ربيع 2021)، شوهد في: 2021/6/8، في: <https://bit.ly/3vcvvhm9>

10 يُنظر: حمشي، ص 33.

تسعى هذه المقالة إلى تزويد القارئ بمجموعة من النظرات التي يمكن عبرها فهم الجائحة؛ فإذا ما وضع القارئ نظراً واقعيةً، فذلك تهديدي يقتضي انكفاء الدول على نفسها وتمسكاً أشد بسياسة الاعتماد على الذات، وهي تحدّ عابراً للحدود للنظام الدولي الليبرالي، بمعانيه ومؤسسته، إذا ما وضع نظراً ليبراليةً، وهي بناءً اجتماعيً مفعماً بالمعاني والتأويلات البيزنطية، التي يضيفها عليها الفاعلون تتباين بتباين الخطاب (إنها "ما تصنعه منها الدول") إذا ما وضع نظراً بنائيةً، وإذا ما وضع نظراً التعقيد فهي مشكلةً معقدةً تتطلب استجابةً معقدةً تأخذ في الحسبان التأثير بين النظام الدولي بوصفه نظاماً متمحوراً حول الإنسان من جهة أولى، والطبيعة بوصفها نظاماً غير متمحورٍ حول الإنسان من جهة ثانية، وتأخذ بعين الاعتبار التأثير بين مختلف مستويات الفعل السياسي، المحلي والوطني والإقليمي والعالمي، مثلما تأخذ في الحسبان أيضاً عبور التخصصات المعرفية وتعددها⁽¹³⁾.

مع ذلك، تحتفظ الدراسة بافتراض آخر مفاده "أنّ الوقت لمّا يسمح للقيام بتأمل ذاتيٍّ كافٍ لمراجعة ما يمكن مراجعته" في أطروحات نظريات العلاقات الدولية السائدة بشأن الجائحة، "هذا إن كانت (كلها أو بعضها) ستفعل ذلك". غير أننا إذا افترضنا أن الجائحة بدأت ظاهرةً طبيعيةً (أو حتى طبيةً أو صحيةً)، ثم انتهى بها المطاف إلى أن صارت ظاهرةً معقدةً متعددة الأبعاد، فإن نظرية التعقد يُمكن أن تعطي زخماً إضافياً للنقاش الحالي بشأن الجائحة؛ وما هذا الخيار النظري إلا مطيةً لإبراز مزايا الانتقائية التحليلية Analytical Eclecticism وفضلها في تشكيل فهم غير اختزالي لجائحة كورونا⁽¹⁴⁾. ولأنّ "النظرية موجودة في كل مكان"⁽¹⁵⁾، على حد تعبير إالين بيدرسن، فإن حضور نظريات العلاقات الدولية لا يقتصر على هذه المقالة (وإن كانت تتخذ منها موضوعاً رئيساً لها)، بل نجدها في كل مقالة من مقالات هذا العدد، خاصة الثانية والثالثة منها، والرابعة بقدر أقل.

2. النظام الدولي وجائحة كورونا

يقدم أحمد قاسم حسين مقالة متعلقة بالنظام الدولي وجائحة كورونا، يحاجّ فيها بأن السجال بشأن النظام الدولي يعود مع كل أزمة ذات أبعاد دولية، مثلما حدث مع نهاية الحرب الباردة ومع الأزمة المالية العالمية عام 2008؛ وهي أزمات "تدفع باحثي العلاقات

بإنتاجها (من يتنجه؟ وأين؟ ومن يُؤول؟ وكيف تُؤول؟)، وصولاً إلى توزيعها (كيف تُوزع بين الدول وداخل الدول نفسها؟). "إنه مُثيرٌ للانتباه أن كلّ هذه الأسئلة، وغيرها، إنما هي أسئلةٌ عن الدولة وعن العلاقات بين الدول؛ فضلاً عن أنها أسئلةٌ عن السياسة والسياسات، داخل الدول، وبينها، وعبرها"⁽¹¹⁾.

يتضمن العدد الخاص بأربع مقالات كان العمل عليها أشبه بورشة تفاعلية بين الباحثين المشاركين فيه، ويمكن للقارئ أن يستشف ذلك من خلال تقاطع موضوعاتها وتكاملها واعتمادها بعضها على بعض (عبر الإحالات المتبادلة بينها على وجه الخصوص). تبحث أولى هذه المقالات نظريات العلاقات الدولية والجائحة، والثانية حول الاقتصاد السياسي الدولي والجائحة، والثالثة عن النظام الدولي والجائحة، أما الرابعة فهي عن الشعبوية والجائحة، إضافة إلى ترجمة لمقالة نظرية عن الصحة العامة والصحة العالمية، ومراجعة نقدية لكتاب عن مستقبل الصراع والتنافس والتعاون الدولي بعد الجائحة.

1. نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا

يستعير كاتب هذه السطور، في المقالة المتعلقة بنظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا، مقولة "نبيذٌ معتقٌ في قنّانٍ جديدةٍ" Old wine in new bottles المنسوبة إلى وصية ذائعة الصيت للسيد المسيح عليه السلام، مجدداً بأن النظريات الثلاث السائدة، أي الواقعية والليبرالية والبنائية، وخاصةً مع حداثة عهد جائحة كورونا، [قد] لا تقدم سوى المزيد من الشيء نفسه، لذلك فمفهومها للجائحة يشبه "أنبذةً معتقةً" يعبئها أصحابها في "قنّانٍ جديدة". وتحتاج الدراسة لاحقاً بأن "نظرية التعقد، ولأنّ إحكامها في حقل العلاقات الدولية ما يزال مشروعاً في مراحله المبكرة مقارنة بالنظريات السائدة الأخرى، إنما تشبه "نبيذاً لمّا يُعتق". وتلقي الضوء على الطرائق (مشهداً على صيغة الجمع) التي يمكن أن يفكر بها حقل العلاقات الدولية في جائحة كورونا، مفترضة أن فهم طرائق التفكير تلك "يقتضي النظر إليها عبر تطّارات نظريات العلاقات الدولية. وما دامت الولاءات النظرية تظل قويةً في هذا الحقل المعرفي، فإن من يُفكر يتأثر بصورة أو بأخرى بالنظرية التي يفكر من خلالها"⁽¹²⁾.

11 المرجع نفسه، ص 18. وهذا غيض من فيض. يشير كاتب هذه السطور، في دراسته في هذا العدد، إلى أسئلة أخرى طالما طُلب من المشتغلين في حقل العلاقات الدولية ومختلف تخصصاته الفرعية، منذ البدايات الأولى لتفشي الجائحة وبانتظام، الإجابة عنها لوسائل الإعلام. كان مطلوباً منهم أن يشرحوا العلاقات/ السياسة الدولية التي تقف خلف الاستجابة لتفشي الجائحة؛ لماذا تتباين سياسات الإبلاغ أو الاختبار أو الاستجابة بين الدول؟ إذ كانت ثمة دولٌ تستجيب لتوجيهات منظمة الصحة العالمية ودولٌ ترسم طريقها الخاص؟ وما التداعيات السياسية والاقتصادية والتداعيات المتعلقة بالسفر والتجارة العالمية؟ وهل ثمة سياقاتٌ إقليميةً واحةً لتصنيف اتجاهات التفشي والاستجابات على حدٍ سواء؟ ينظر: المرجع نفسه، ص 33.

12 المرجع نفسه، ص 18.

13 المرجع نفسه، ص 33.

14 المرجع نفسه، ص 33-34.

تتقاطع هذه المقالة مع مراجعة لورد حبش للكتاب الذي حرره هال براندرز وفرانيسيس غافين (2020)، فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون، الصادرة في هذا العدد أيضًا⁽¹⁹⁾.

3. الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا

تسعى شهرزاد خير في المقالة الثالثة للإجابة عن سؤال الارتباط بين ما هو اقتصادي دولي وما هو سياسي دولي في موضوع الجائحة وآثارها الوخيمة في الاقتصاد العالمي؛ وذلك من خلال عدسة الاقتصاد السياسي الدولي بوصفه حقلًا معرفيًا قائمًا بذاته. ولا يعني هذا أن مسألة استقلالية الاقتصاد السياسي الدولي عن حقل العلاقات الدولية لا تثير حفيظة أحدٍ من المهتمين به، وهي مسألة تناقشها الباحثة بحصافة في هذه المقالة، مقدمًا بذلك إسهامًا نظريًا رصينًا في إعادة التعريف بهذا الحقل الذي ما انفك يواجه أزمة هوية معرفية حادة⁽²⁰⁾. ولمقاربة الجائحة من منظور الاقتصاد السياسي الدولي أهميتها وقيمتها المضافة في النقاش بشأن أثر الأوبئة في الاقتصاد العالمي، وهو نقاش تكاد تهيمن عليه أصوات قادمة من علم الاقتصاد والاقتصاد الدولي، مُشكِّلتها أنها تميل كل الميل إلى الاقتصادي، فتدُرُّ النقاش مُوغلًا في الاختزالية، غير قادرٍ على مقارنة السياسي، وهذان - أي الاقتصادي والسياسي - لما يتعلق الأمر بالعلاقات الدولية، يصيران كالقمح والرؤان، لا سبيل إلى الفصل بينهما⁽²¹⁾.

تبني الباحثة مقالتها على افتراض أن آثار جائحة كورونا الجسيمة في الترتيبات السياسية والاقتصادية العالمية من شأنها أن تدفع حقل الاقتصاد السياسي الدولي نحو "وضع فريد يُمكنه من التفكير في الأثر الاقتصادي العالمي للجائحة لاستكشاف ما يمكن أن تجلبه بحوثه إلى طاولة النقاش"، وتحتاج بأن هذا الحقل يمكن أن يقدم إجابات عن الكيفية التي تُشكّل من خلالها "هذه الجائحة (أو تفشل في تشكيل) العلاقات الاقتصادية الدولية؟" مثلما يمكنه، بوصفه حقلًا عابرًا للتخصصات، مساعدتنا في فهم أتماط التغيير والاستمرارية في الاقتصاد والسياسة العالمية في أعقاب الجائحة، فضلًا عن استكشاف إسهامات الحقل في أبحاث الصحة العالمية⁽²²⁾. وانطلاقًا من تعريف الاقتصاد السياسي الدولي باعتباره ذلك التحليل الذي يُنكر الفصل بين السياسة والاقتصاد والمجتمع، تكشف الباحثة في هذه المقالة عن

الدولية إلى اعتقاد مفاده أن لحظة التغيير/ التغير في النظام الدولي قادمة لا محالة، وأن العالم في انتظار العامل "x" القادح الذي سيفجر أزمة نظامية على المستوى الدولي". لا يقتصر هذا العامل القادح على الأزمات الاقتصادية، بل قد يشمل أيضًا مواجهة عسكرية بين قوتين دوليتين، أو تغييرًا في التحالفات الدولية تحافظ الولايات المتحدة من خلاله على موقعها في النظام الدولي، خاصة مع صعود قوى كبرى منافسة أو قوى إقليمية غير قانعة ببنية النظام الدولي القائم. لكن ما لم يأخذه فاعلو النظام الدولي في الحسبان هو أن "متغيرًا عارضًا غير مرئي عابرًا للحدود القومية"، مثل "الوباء"، قد يعيد هيكل العلاقات بين هؤلاء الفاعلين؛ وهو ما يفند الاعتقاد السائد المتمثل بأن الأوبئة ليست إلا "مسألة عابرة للحدود" تفرضها العولمة الاقتصادية، أو تهديدًا أمنيًا بيولوجيًا تواجهه الدولة⁽¹⁶⁾.

هذه المقاربة مهمة جدًا في فهم اتجاهات التغيير/ التغير في النظام الدولي، وهذا ما أجاد الباحث التصدي له في هذه المقالة، وهي - أي المقاربة للجائحة باعتبارها أزمة - مهمة أيضًا في تسويغ مساهمة عبد الكريم أمركاي اللاحقة عن الشعبوية؛ إذ إن الأزمة تُعدُّ عنصرًا أساسيًا من عناصر الشعبوية بوصفها أسلوبًا سياسيًا، على الأقل من وجهة نظر بنيامين موفيت ومن هذا حذو (وهي مسألة سنعود إليها لاحقًا)، فما بالك بأزمة بحجم تفشي جائحة مثل جائحة كورونا!

بناءً على ذلك، ينبّه الباحث إلى قدرة تلك الأوبئة على التأثير المباشر في بنية النظام الدولي. ومع أنه يحاج بأن الوباء عارضٌ وأنه قد لا يحمل في طياته القدرة على تغيير توزيع القوة الحالي، فإنه يفتح "حوارًا في حقل العلاقات الدولية حول دور الأوبئة، المعدية السريعة الانتقال، في التأثير في بنية النظام الدولي، وقدرته على تكتيف العوامل الأساسية التي تسهم في التغيير/ التغير في النظام الدولي، سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية، وفي مناطق مختلفة من العالم"⁽¹⁷⁾.

يُشدّد الباحث، في مقالته، على أن فيروس كورونا ليس هو العامل الأساسي الذي يغير من طبيعة النظام الدولي وتركيبته مستقبلاً، ويرى أنه "متغير وسيط [...] قد يزيد سرعة ظهور العوامل المحفزة النظامية [...] وينقلها من مرحلة الكمون إلى الظهور". ويرى أن تلك العوامل المحفزة النظامية السابقة على ظهور الفيروس الرصيد المتضخم من العوامل التي وصلت إلى مرحلة التراكم الانفجاري [...] في النظام الدولي القائم في انتظار العامل "x" القادح⁽¹⁸⁾. ويعد التنافس الدولي أحد أبرز تلك العوامل التي يحيل إليها الباحث في هذا الصدد. وهنا،

19 يُنظر: لورد حبش، "فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون"، مراجعة كتاب، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 169-178.

20 يُنظر في هذا العدد: شهرزاد خير، "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 58-85.

21 هذه العبارة مقتبسة بتصرف من: عزمي بشارة، المجتمع المدني: دراسة نقدية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 19.

22 خير، ص 68-70.

16 حسين.

17 المرجع نفسه، ص 41.

18 المرجع نفسه.

الشعبوية بوصفها أسلوبًا سياسيًا⁽²⁶⁾، نفترض أن الشعبوية تزدهر في فترات الأزمات التي توفر للزعامات والحركات الشعبوية سياقًا خصبًا للانتعاش. فالأزمات والتهديدات، في حد ذاتها، تمنح الشعبوية زخمًا؛ ليس عبر تسويخ المطالبة بالتصرف فورًا واتخاذ إجراءات استثنائية فحسب، بل أيضًا عبر تسويخ خطابات استعداد "الأخر" - أيًا كان المدلول الذي يُمَلَأ به هذا الدال، سواء أكان عدوًا خارجيًا، أم مهاجرين، أم حتى مؤسسات/ ترتيبات دولية - وإلقاء اللوم عليه، ومن ثم التعبئة ضده. هذا تمامًا ما حدث أثناء أزمة تفشي جائحة كورونا، وهو ما يناقشه الباحث في أجزاء مهمة من مقالته. ثانيًا، إن إدراج مبحث عن الشعبوية والجائحة في عدد خاص عن (حقل) العلاقات الدولية تسوغه أيضًا محاولة الإضافة إلى النقاش الذي بدأ منذ مدة ليست قصيرة بشأن الاعتماد المتبادل الذي ينبغي أن يكون بين أبحاث الشعبوية وحقل العلاقات الدولية⁽²⁷⁾. لذلك يمكن أن يطالع القارئ في المقالة الأولى ما ينبغي أن تكون عليه الشعبوية، ما بعد الجائحة، بما هي جزءٌ من برنامج بحث الليبرالية⁽²⁸⁾، مثلما يمكنه أن يطالع في المقالة الثالثة مبحثًا كاملًا عن الشعبوية بوصفها مقوّمًا للتعاون الدولي⁽²⁹⁾، فضلًا عن المقالة الرابعة هذه التي تتخذ من الشعبوية موضوعها الرئيس.

بعد مدخل مفهومي مُحكم البنيان، يُعرّف فيه الباحث مفهوم الشعبوية من خلال مقاربات ثلاث، المقاربة المتعلقة بالأفكار، والمقاربتين التواصلية والاستراتيجية، ينتقل إلى الدفاع عن أطروحته الأساسية. يحاجّ الباحث بأن حجج الذين سارعوا إلى اعتبار أن نجم الشعبوية في "أقول"، بفعل الآثار السياسية لجائحة كورونا، إنما هي حجج واهية، مثلما يجادل بأن أي تحليل للشعبوية في زمن الجائحة يجب أن يميز بين مستويين من التحليل؛ الأول هو التحليل المقارن لطبيعة التدابير التي اتخذتها الحكومات الشعبوية وغير الشعبوية لمواجهة الجائحة وحصيلتها في الدول التي تسيرها تلك الحكومات، أما الثاني فهو تحليل خطاب الحكام الشعبويين أثناء فترة تفشي الجائحة. ثم يقدم الباحث تحليلًا إمبريقًا بالنسبة إلى الحصيلة البشرية للجائحة في ديمقراطيات تسيرها حكومات شعبية وأخرى تسيرها حكومات غير شعبية؛ محاجًا بأنه "إذا كان ثمة شيء يميز

"التهافت [السائد إثر تفشي الجائحة] على التنظير لنهاية النيوليبرالية، وتقديم سردية ضعيفة مستلهمة من أطروحات كينزية، [في محاولة] لاستشراف تداعيات جائحة كورونا على شكل النموذج الذي سيحكم النظام العالمي، وأثرها في دور الدولة ووظيفتها تحديدًا". وبناءً عليه، تُناقح المقالة عن فرضية مفادها أن الدولة "كانت ولا تزال حاضرة في قلب الرأسمالية النيوليبرالية، وأنها حافظت على قواعدها ضمن تيار نيوليبرالي هيژودوكسي، تتجه فيه نحو نيوليبرالية أكثر سلطوية، وترتحل فيه من نيوليبرالية السوق إلى نيوليبرالية الدولة"⁽²³⁾.

ونظرًا إلى أن الصحة يجب أن تُفهم "ضمن السياق الاجتماعي الذي يحدده الاقتصاد السياسي الدولي إلى حد بعيد"، مثلما نفترض الباحثة، فإنها تدعو إلى أن "الاقتصاد السياسي للصحة [ينبغي] أن يكون مركزياً في البحوث الصحية، ما دامت الصحة مسألة عابرة للحدود". وهكذا؛ فيما أن الاقتصاد السياسي الدولي "يفتح الحقل نقاشًا بشأن التفسيرات الممكنة للكشف عن تعيّر العلاقة التقليدية بين الدولة والسوق والتفكير في كيفية تحسين الوضع الصحي العالمي، فإنه يدفع أيضًا نحو المزيد من الاهتمام بوضع تصورات للعلاقة بين الملكية الفكرية والحق في إتاحة اللقاح"⁽²⁴⁾. وتطمع الباحثة هذه المقالة بمباحث أخرى ضمن مجال اهتمام الاقتصاد السياسي الدولي؛ منها ما يتعلق بالدور المتغير للدولة والسوق في تحسين الرعاية الصحية، ومنها ما يناقش ترتيبات التعاون الدولي في مجال الصحة العالمية زمن الجائحة وما بعدها، كما تخصص مبحثًا خاصًا لمناقشة الشعبوية القومية بوصفها مقوّمًا للتعاون الدولي في مواجهة جائحة كورونا؛ ما يجعلها تتقاطع على نحو جلي مع المقالة الرابعة في هذا العدد⁽²⁵⁾.

4. الشعبوية وجائحة كورونا

يتصدى عبد الكريم أمناكي في المقالة الرابعة للبحث في الشعبوية وعلاقتها بجائحة كورونا، فضلًا عن فحص اتجاهاتها، خطابًا وممارسةً، في زمن الجائحة. لماذا تُنجز مقالة عن الشعبوية في عدد خاص عن (حقل) العلاقات الدولية؟ أولًا، استنادًا إلى ما تقدّم بشأن المقاربة للجائحة بوصفها أزمةً، واستنادًا أيضًا إلى أعمال بنيامين موفيت عن

26 ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

Benjamin Moffitt, *The Global Rise of Populism: Performance, Political Style, and Representation* (Stanford, CA: Stanford University Press, 2016).

27 ينظر في هذا السياق: فرانك أ. ستنجل وديفيد ب. ماكدونالد وديرك نابرس (محررين)، *الشعبوية والسياسة العالمية: سر الأبعاد البينية والعبارة للحدود*، ترجمة محمد حمشي (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريبًا]).

28 ينظر: حمشي، "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا"، ص 22.

29 ينظر: خير، ص 78-80.

23 المرجع نفسه.

24 المرجع نفسه، ص 60.

25 تكرر شهرزاد خير أيضًا، مبحثًا للنماذج الاقتصادية التي تحاكي مسارات انتشار الأوبئة، والتي من شأنها تزويد صانعي السياسات بالتنبؤات الكمية الممكنة لمواجهة جائحة ناشئة، ويأتي في طبيعتها نموذج فريق بحث إمبريال كوليدج، ونموذج فريق بحث جامعة جونز هوبكنز. ينظر: المرجع نفسه، ص 72-75.

لأنهم هم المطالبون باتخاذ التدابير الصائبة للخروج من الأزمة⁽³²⁾. وقد حدث هذا مراراً وتكراراً خلال السنة الأخيرة من فترة رئاسة دونالد ترامب، سواء مع الصين أو مع منظمة الصحة العالمية، وهو ما يناقشه الباحث في الشطر الثاني من مقالته هذه.

فضلاً عن ذلك، يضم هذا العدد ترجمةً، أعدتها سارة إسماعيل، لدراسة نشرها ديفيد فيدلر - وهو أستاذ فخري في كلية الحقوق، جامعة إنديانا - في دورية النظرية الاجتماعية والصحة، بعنوان "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية". وهي دراسة تبحث في الإجابة عن أسئلة نظرية تثيرها الدعوة المتزايدة لوضع الصحة العامة على الأجندات الدبلوماسية، من قبيل: "لماذا ينبغي أن تتصدر الصحة العامة الأجندات الدبلوماسية العالمية؟ وكيف ينبغي ضبط المساعي الرامية لبلوغ صحة عامة أفضل وتنفيذها على صعيد عالمي؟". كما يحلل فيدلر المشكلات التي يفرضها السياق الفوضوي للعلاقات الدولية على الإجابة عن هذه الأسئلة، مستعيناً بـ "نظريات من حقل العلاقات الدولية، الواقعية والمؤسسية والليبرالية والبنائية الاجتماعية، لإلقاء الضوء على تحديات نظرية تواجه الدعوة إلى دعم قضايا الصحة العالمية من أجل إضفاء أهمية أكبر على الصحة العامة في السياسة العالمية"⁽³³⁾.

إضافة إلى ذلك، تقدم لورد حبش، ضمن هذا العدد، مراجعة نقدية للكتاب الجماعي، فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون، الذي حرره هال براندز وفرانيس غافين، وصدر عن منشورات جامعة جونز هوبكينز⁽³⁴⁾. هذا الكتاب هو نتاج مؤتمر افتراضي جمع، في حزيران/ يونيو 2020، ثلة من الباحثين والسياسيين لتدارس مستقبل النظام العالمي بعد جائحة كورونا. ويقدم الكتاب رؤى متعلقة بسؤال مفتاحي، هو: "إلى أين تتجه الولايات المتحدة الأمريكية والنظام الدولي الليبرالي بعد جائحة كورونا؟"⁽³⁵⁾. أخيراً، يتضمن هذا العدد، أيضاً، قراءة أعدتها وحدة استطلاع الرأي العام في المؤشر العربي، الذي يصدره المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في اتجاهات الرأي العام في المنطقة العربية نحو الأداء الحكومي في مجال السياسات العامة

32 المرجع نفسه، ص 108.

33 ينظر في هذا العدد، ديفيد ب. فيدلر، "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية"، ترجمة سارة إسماعيل، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021) ص 109-124.

34 ينظر:

Hal Brands & Francis J. Gavin (eds.), *Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation* (Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 2020).

35 ينظر: حبش.

الزعماء الشعبويين في التعامل مع هذه الجائحة، فيجب البحث عنه على مستوى الخطاب، وليس على مستوى التدابير المتخذة لمواجهةها"⁽³⁰⁾. ومن هنا تأتي دلالات عنوان المقالة "شعبويو السلطة وجائحة كورونا بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب"؛ إذ تشدد على ضرورة التمييز بين الشعبويين الممسكين بزمام السلطة والقابعين في المعارضة من ناحية أولى، وعلى أن التحليل الإمبريقي يبين أن التمايز بينهم لا يكمن في مستوى تدابير مواجهة الجائحة بقدر ما يتجلى في مستوى الخطاب الذي ميز "شعبويي السلطة" منذ بداية الأزمة من ناحية أخرى.

ينتقل الباحث إلى حالة الإدارة الأمريكية للجائحة بقيادة الرئيس دونالد ترامب، بوصفه "النموذج المثالي، بالمعنى الفيبري للمصطلح، للزعماء الشعبويين الذين صادف انطلاق الجائحة وجودهم في السلطة في الديمقراطيات الغربية الليبرالية". ومرة أخرى، يحاجّ الباحث بأن "ما ميز تعامل الرئيس ترامب مع الجائحة ليس طبيعة الإجراءات التدبيرية التي اتخذتها إدارته، بل عناصر الخطاب التي وظفها؛ إذ كان ثمة من جهة 'خطاب منفصم' يناقض الإجراءات العملية التي استُخدمت لمواجهة الجائحة. ومن جهة أخرى، كان ثمة 'خطاب إثبات' وظف فيه 'الأصل الأجنبي' [الصيني بطبيعة الحال] للجائحة بغرض تعزيز المشروع السياسي [لفكرة الخطر الخارجي]"⁽³¹⁾.

وما يضع هذه المقالة في لب العدد، فضلاً عما سبق تسويغ، هو تأملاتها في خطاب سياسة ترامب الخارجية زمن جائحة كورونا؛ إذ يعود الباحث ليدركنا بأن "التضاد بين نحن وهم [أو بين الأنا والآخر، الذي يعد ركيزة الشعبوية في الزمن السياسي العادي، [إمّا] يزداد حدة في زمن الأزمات". وهكذا يخلص إلى أن "الآخر"، الذي يتحمل اللوم بوصفه "المسؤول عن الأزمة في الخطاب الشعبوي ليس فقط النخب الحاكمة المتهمه بالتقصير في توفير الحل، بل هو كذلك كل العناصر التي لا تنتمي إلى 'الشعب الخالص'، سواء أكانت هذه العناصر داخلية أم خارجية"؛ فالآخر الذي يصير بفعل الخطاب عدوًا، قد يكون أيضاً من المهاجرين أو اللاجئين، وقد يكون دولة أو مجموعة دول أو منظمات دولية أو شركات متعددة الجنسيات أو مؤسسات فوق وطنية على غرار الاتحاد الأوروبي. وكل ذلك في سبيل تحويل الانتباه عن المساءلة التي قد يتعرض لها شعبويو السلطة؛

30 ينظر في هذا العدد: عبد الكريم أمناكي، "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب"، سياسات عربية، العدد 50 (أيار/ مايو 2021)، ص 103.

31 المرجع نفسه، ص 88.

المراجع

العربية

أبطوي، محمد. "دراسة الوباء وسبل التحزُّز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. 2020/6/22. في: <https://bit.ly/2RYifuE>

أمنكاي، عبد الكريم. "شعبويو السلطة وجائحة كورونا: بين اعتيادية التدابير وخصوصية الخطاب، حالة الولايات المتحدة تحت إدارة دونالد ترامب". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

بشارة، عزمي. المجتمع المدني: دراسة نقدية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

تبيين. عدد خاص: الفلسفة والجائحة والمرض. مج 9، العدد 35 (شتاء 2021). في: <https://bit.ly/3w5PTgS>

حبش، لورد. "فيروس كورونا والنظام العالمي: مستقبل الصراع والتنافس والتعاون". مراجعة كتاب. سياسات عربية. العدد 50 (2021).

حسين، أحمد قاسم. "النظام الدولي وجائحة كورونا: سجال تأثير الأوبئة في العلاقات الدولية". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

حمشي، محمد. "نظريات العلاقات الدولية وجائحة كورونا: أنبذة معتقة في قنان جديدة ونبيذ لما يُعتَق". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

خير، شهرزاد. "الاقتصاد السياسي الدولي وجائحة كورونا: تأملات نظرية ومساءلات مبكرة". سياسات عربية. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

ستنجل، فرانك أ. وديفيد ب. ماكدونالد وديرك نابرس محررون. الشعبوية والسياسة العالمية: سر الأبعاد البيئية والعابرة للحدود. ترجمة محمد حمشي. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 [يصدر قريباً].

العدوي، أحمد. الطاعون في العصر الأموي: صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.

عُمران. عدد خاص: إستيمولوجيا الجائحة. مج 9، العدد 36 (ربيع 2021). في: <https://bit.ly/3vcvhm9>

والخدمات الأساسية (استطلاع 2020/2019). وتركز هذه القراءة على إبراز العلاقة بين تقييم الأداء الحكومي والثقة بالحكومات؛ وترتيب الخدمات العامة ضمن أولويات مواطني المنطقة العربية؛ ثم تحاول رصد مجموعة من دلالات اتجاهات الرأي العام العربي نحو الخدمات الصحية الحكومية والثقة بالحكومات بشأن سلوك المواطنين أثناء فترة تفشي جائحة كورونا.

والآن، دعونا نختم مقدمة هذا العدد من حيث بدأناها، القصة القصيرة التي جاءت في مستهلها. لطالما شُبه العالم، زمن العولمة، بالقرية الصغيرة، وبالحى الكبير، لكن الجوائح، من صنو جائحة كورونا، تجعله أشبه مبنى واحدٍ فيه قاطنون في شقق؛ بعضها فخمٌ، والآخر وضيعٌ، بل فيه من يقطن الأقبية أيضاً. فإذا ما اندلع حريقٌ فيه ولم يكن ثمة نظامٌ إنذارٍ وإخمادٍ فعّال، ولم تُحتَوِ شرارته الأولى، ثم أجهض دور وحدة الإطفاء، لم يُسمع للقاطنين حسيبٌ حينها، إلا أن ينبعثوا نحو المخرج بصرخون من فرغ، "نفسى، نفسى!". قد لا يتداعى المبنى على رؤوس الجميع، وقد ينجو من ينجو ويهلك من يهلك، لكن الحياة في المبنى، بوصفه جماعة من القاطنين، قد لا تعود إلى ما كانت عليه، أمّا رأبُ ما أفسده الحريق فتلك معضلةٌ أخرى. وهذا ما يمكن تعلّمه من (حقل) العلاقات الدولية.

فيدلر، ديفيد ب. "الأمراض والفوضى المعومة: مقاربات نظرية للصحة العالمية". ترجمة سارة إسماعيل. *سياسات عربية*. العدد 50 (أيار/ مايو 2021).

الأجنبية

Brands, Hal & Francis J. Gavin (eds.). *Covid-19 and World Order: The Future of Conflict, Competition, and Cooperation*. Baltimore, Maryland: Johns Hopkins University Press, 2020.

Honigsbaum, Mark. *The Pandemic Century: A History of Global Contagion from the Spanish Flu to Covid-19*. UK: Virgin Books Limited, 2020.

Hopf, Ted. "The Promise of Constructivism in International Relations Theory." *International Security*. vol. 23, no. 1 (Summer 1998).

Moffitt, Benjamin. *The Global Rise of Populism: Performance, Political Style, and Representation*. Stanford, CA: Stanford University Press, 2016.

Pedersen, Elaine L. "Theory is Everywhere: A Discourse on Theory." *Clothing and Textiles Research Journal*. vol. 25, no. 1 (2007).

Wallerstein, Immanuel. *After Liberalism*. New York: The New Press, 1995.